



الطب والتداوي

بين
نظرة الإسلام وممارسة علماء المسلمين

المبحث الأول: نظرة الإسلام إلى التداوي

المبحث الثاني: مساهمات علماء المسلمين في الطب

المبحث الأول

نظرة الإسلام إلى التداوي

اختلف العلماء في حكم التداوي على ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: المنع من التداوي

والقائلون بالمنع على فريقين:

الفريق الأول: أنكر التداوي مطلقاً.

وهم غلاة الصوفية.^(١)

وإستدلوا لذلك بما يلي:

(١) انظر: شرح النووي على مسلم: (٣٣/٩).

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [سورة الحديد: ٢٢].

وجه الدلالة: إن الله سبحانه وتعالى قد علم أيام المرض وأيام الصحة، فلو حرص الخلق على تقليل ذلك أوزيادته ما قدروا، فالواجب على المؤمن أن يترك التداوي إعتصاماً بالله وتوكلاً عليه وثقة به، فالولاية لا تتم إلا إذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء، فما دام كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة إلى التداوي.^(١)

ثانياً: السنة النبوية المطهرة

أ- ما روى ابن مسعود وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن الرقى والتمايم والتولة شرك».^(٢)

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٧/ ١٠١٩٤-١٣٩)، شرح النووي على مسلم: (٩/ ٣٣).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (عون المعبود ١٠/ ٣٦٧-٣٦٨ رقم ٣٨٦٥/ الطب/ تعليق التمام) ومن طريقه البيهقي في السنن (٩/ ٣٥٠) وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٦٦-١١٦٧ رقم ٣٥٣٠/ الطب/ تعليق التمام) وأبو يعلى في مسنده (٩/ ١٣٣ رقم ٥٢٠٨) والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٥٦-١٥٧ رقم ٣٢٤٠) كلهم عن عبدالله بن مسعود وفي إسناده ابن أخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود، ووقع عند أبي يعلى وابن ماجه (ابن أخت) وفي نسخة لابن ماجه (ابن أخي) ولم يسم ولم يوثق، وقال ابن حجر في التريب: «كأنه صحابي». (٢/ ٥٣٤) وقال المنذري في الترغيب: مجهول (٤/ ٣٠٩) وانظر اللسان (٧/ ٣٠٣) والاصابة (٤/ ٣١٩) والتهذيب (١٢/ ٤٢٢)، قلت: هو مجهول الحال وبقية رجاله رجال مسلم.

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٢ رقم ١٠٥٠٣) وابن حبان (الموارد ٣٤٢ رقم ١٤١٢) عن يحيى بن الجزار مرسلًا، فلم يذكر ابن أخي زينب ولا زينب، ورجال الطبراني ثقات، ورجال ابن حبان رجال مسلم.

وأخرجه الحاكم في المستدرک بإسناد آخر (٤/ ٤١٧-٤١٨) عن يحيى بن الجزار عن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن زينب عن عبدالله.

وفي إسناده محمد بن سلمة الكوفي قال أبو حاتم: هو شيخ لأعرفه، وحديثه ليس بمنكر، الجرح (٧/ ٢٧٦) وضعفه ابن

=

وجه دلالة الحديث على قولهم: أن الرقى والتمايم والتولة مما يتداوى به، وفي ذلك إشراك لها مع الله في التوكل، فلا تجوز.

ب- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أبالي ما أتيت إن شربت ترياقاً أو تعلقت تيممة أو قلت الشعر في نفسي»^(١).

حبان في المجروحين (٢٦٦/٢) وانظر الميزان (٥٦٨/٣) واللسان (١٨٣/٥-١٨٤) وبقية رجاله ثقات. ووقع في المستدرک: محمد بن مسلمة وهو خطأ.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٩٣/٩) رقم (٨٨٦٢) و(٩٣/٩) رقم (٨٨٦٣) من طريق المنهال بن عمرو عن أبي عبيد موقوفاً على ابن مسعود. وفي إسناده الأول أبو إسرائيل الملائني - كذا هنا مع أنه وقع في إسناده للحاكم (٢١٧/٤) إسرائيل عن مسبرة بن حبيب - وأبو إسرائيل هو إسماعيل بن خليفة الملائني سيء الحفظ، وفي إسناده الثاني عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المسعودي اختلط. وهذا رواه عنه عاصم بن علي الواسطي وإنما سمع منه بعد الإختلاط، وبقية رجالهما ثقات، غير أنه منقطع لأن أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود لا يصح له سماع من أبيه. وأخرجه الحاكم (٢١٧/٤) من طريق المنهال بن عمرو بن قيس بن السكن الأسدي ورجاله ثقات، غير أحمد بن مهران الأصبهاني وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٨/٤٨ و٥٢-٥٣) وتأييد توثيقه بما ذكره أبو نعيم في ذكر تاريخ أصبهان (١٢٨/١) رقم (٥٨) قال: كان لا يخرج من بيته إلا للصلاة واقتصر في اللسان على قول ابن حبان (١/٣١٦) وعلى أي حال هو إسناده صحيح.

وأخرجه الحاكم أيضاً في (٢١٦-٢١٧) بلفظ آخر، وفي إسناده السري بن إسماعيل الهمداني، وهو متروك وأم ناجية الراوية عن ابن مسعود لم أجد لها ترجمة.

وقد اقتصر بعضهم على ذكر بعض قول ابن مسعود في هذه القضية، أخرجه عبد الرزاق المصنف (١١/٢٠٨) رقم (٢٠٣٤٣) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٩٣/٩) رقم (٨٨٦١) عن زياد بن أبي مريم أو عن أبي عبيدة، على الشك من معمر، ورجاله ثقات غير أنه منقطع أيضاً. تنبيه: هذا المتن لا يعرف إلا من حديث ابن مسعود.

نعم قد جاء حديث أبي أمامة: ثلاثة من السحر: «الرقى والتول والتمايم» أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٤٠) رقم (٧٨٢٣) بإسناده ضعيف، لكن هذا المتن غير ذلك.

والحديث ذكره الحافظ في الفتح وسكت عنه (١٠/١٩٦)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير ٣٤٢/٢).

(١) أخرجه أبو داود (عون المعبود ١٠/٣٤٩) رقم (٣٨٥١) الطب/ في الترياق) - ومن طريقه البيهقي (٩/٣٥٥) - وأخرجه أحمد (٢/١٦٧ و٢٢٣) وابن أبي شيبه في المصنف (٨/٧٨) رقم (٣٧١٦) عن عبد الرحمن بن رافع التنوخي عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وقد اختلف في تعيين الراوي عن عبد الرحمن، فعند أبي داود: شرحبيل ابن يزيد المعافري «وعند أحمد في روايته ورواية عند أبي نعيم: شرحبيل

وجه الدلالة: أن شرب الترياق من التداوي، وهو محظور على الرسول، فالتداوي حرام.

الفريق الثاني: منع التداوي،

إذ كان يرى الشفاء من الدواء، ويعتقد أنه لو لم يعالج لما سلم.

وهم بعض الحنفية: (١)

والأصل الذي عليه الحنفية جواز التداوي، اعتباراً للأحاديث الدالة على ذلك (٢)، ولكن لما عورضوا بما إستدل به البعض على كراهية التداوي، وهو:

أ- ما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». (٣)

ابن شريك المعافري وعند بن أبي شيبه: شرحبيل بن يزيد المعافري، بينما نقل الحافظ في التهذيب (٤/٣٢٤) من المصنف أنه شرحبيل بن شريك وفي إسناده عبد الرحمن بن رافع التنوخي وهو ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

والحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الطبراني (٩/٣٠٨) - وهو في الأوسط للطبراني (المجمع ٥/١٠٣) - فخالف في إسناده إذ جعله عن أبي عبد الرحمن - عبد الله بن يزيد المعافري - الجبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص. مع أن المعروف أنه من حديث عبد الرحمن بن رافع التنوخي، وفي إسناده عند أبي نعيم شيخ الطبراني موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي ضعفه النسائي فقال: لا أحدث عنه شيئاً ليس هو شيئاً، اللسان (٦/١٢٦-١٢٧) وفيه أيضاً معاوية بن يحيى الطرابلسي له أوهام ويقع في حديثه ما لا يتابع عليه، فالوهم من أحدهما. والحديث بهذا ضعيف وقد ذكره الحافظ في التلخيص (٣/١٢٩) وسكت عنه، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير ٥/٤٠٨) وهو متعقب بما ذكرناه الذهبي في مذهب السنن الكبرى: هذا حديث منكر تكلم في ابن رافع لأجله...أ.هـ. نقله المناوي في الفيض.

(١) انظر: تبين الحقائق (٦/٣٣) البحر الرائق (٨/٢٠٨)، الفتاوي الهندية (٥/٣٥٤).

(٢) انظر الأحاديث ص ٦ وما بعدها.

(٣) هذا الحديث رواه جمع من الصحابة هم: ابن عباس وأنس وعمران بن حصين وأبو هريرة وابن مسعود وخباب بن الأرت و عمرو بن عمير. وجملة: سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب رواها نحو واحد وعشرين صحابياً بمن فيهم المذكورون أولاً.

=

ب- وعن ابن عباس أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر، فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها.^(١)

عندها قال الحنفية: إن النهي الوارد في الحديثين عن التداوي محمول على من كان يرى الشفاء من الدواء ويعتقد أنه لو لم يعالج لما سلم، ونحن نقول لا يجوز لمثل هذا التداوي.^(٢) وذلك توفيقاً بين الأدلة.

الاتجاه الثاني: جواز التداوي

نص بعض الفقهاء^(٣) على جواز التداوي مطلقاً وقيد البعض الجواز بالإباحة والندب الكراهة على خلاف بينهم على ثلاثة أقوال على النحو التالي:

والحديث أخرجه أحمد (٤/٤٣٦ و٤٤١ و٤٤٣) ومسلم (١/١٩٨ رقم ٢١٨/الإيمان/الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) عن عمران بن حصين، واللفظ له، ومن حديث ابن عباس أخرجه البخاري الفتح (٦/٤٤١ رقم ٣٤١٠/الأنبياء/وفاة موسى) و (١٠/١٥٥ و ٢١١ رقم ٥٧٠٥ و ٥٧٥٢) و (١١/٣٠٥ و ٤٠٥ و ٤٠٦ رقم ٦٤٧٢ و ٦٥٤١) ومسلم (١/١٩٩-٢٠٠ رقم ٢٢٠).

(١) أخرجه البخاري الفتح (١٠/١١٤ رقم ٥٦٥٢/المرضى/فضل من يُصرَع من الريح) ومسلم (٤/١٩٩٤ رقم ٢٥٧٦/البر والصلة، ثواب المؤمن فيما يصيبه...) وأحمد (١/٣٤٦-٣٤٧) عن ابن عباس. بلفظ: إني أصرع» وكذلك النسائي في الكبرى (٤/٣٥٣ رقم ٧٤٩٠) وأخرجه أيضاً البزار في الكشف (١/٣٦٧ رقم ٧٧٣) والخطيب في الموضح (٢/٢٩٩-٣٠٠) والبيهقي في الشعب (٧/١٩٣-١٩٤ رقم ٩٩٦٦) وجاء أيضاً من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٢/٤٤١) والبزار في الكشف (١/٣٦٧ رقم ٢٧٢) وابن حبان (١٨٢ رقم ٧٠٨) والحاكم في المستدرک (٤/٢١٨).

(٢) انظر تبين الحقائق (٦/٣٢)، البحر الرائق (٨/٢٠٨).

(٣) انظر: البحر الرائق (٨/٢٠٨)، تبين الحقائق (٦/٣٢)، الفتاوى الهندية (٥/٣٥٤)، الدر المختار مع رد المحتار (٦/٣٨٩)، القوانين الفقهية لابن جزي (٤٣٧)، المتقى للباجي (٧/٢٦١).

وهو قول جمهور العلماء من الحنفية^(١) والمالكية^(٢) والحنابلة^(٣).

وإستدلوا لقولهم بما يلي:

١- قوله ﷺ: «تداووا عباد الله فإن الله تعالى ما خلق داء إلا وخلق له دواء، إلا السام والهزم»^(٤).

٢- قوله ﷺ: «ما أنزل الله تعالى داء إلا وأنزل له شفاء»^(٥).

(١) انظر: الهداية والعناية (١٠/٦٦).

(٢) الجامع من المقدمات (٣١٣).

(٣) انظر: المبدع (٢/٢١٣)، الروض المربع (١/٩٥).

(٤) هذا السياق لحديث أسامة بن شريك: أخرجه الطيالسي (١٧١ رقم ١٢٣٢ و١٢٣٣) والحميدي في مسنده (٢/٣٦٣ رقم ٨٢٤) والبخاري في الأدب المفرد (٤٤/حسن الخلق) وابن أبي شيبة في المصنف (٨/٢ رقم ٣٤٦٨ - ومن طريقه ابن ماجه (٢/١١٣٧ رقم ٣٤٣٦/الطب/ ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) - وأخرجه أحمد (٤/٢٧٨) وأبو داود (١٠/٣٣٤-٣٣٥ رقم ٣٨٣٧/الطب/ الرجل يتداوى) والترمذي (٤/٣٨٣ رقم ٢٠٣٨/الطب/ ما جاء في الدواء والحث عليه) والنسائي في الكبرى (٤/٣٦٨-٣٦٩ رقم ٧٥٥٣ و٧٥٥٤) والطبراني في الكبير (١/١٧٩-١٨٥ رقم ٤٦٣-٤٨٦) والصغير (١/٢٠٢-٢٠٣) وفي مكارم الأخلاق أيضاً (٣١٦ رقم ١٢) - مختصراً - وابن حبان (٣٣٩ و٤٧٥ رقم ١٣٩٥ و١٩٢٤ و١٩٢٥/الموارد) والحاكم في المستدرک (١/١٢١) و(٤/١٩٨-١٩٩ و٣٩٩-٤٠٠) والبيهقي في السنن (٩/٣٤٣) وفي الآداب (١١١ و٤٥٠ رقم ١٥٦ و٩٩٨).

وشعب الإيمان (٢/٢٠٠ رقم ١٥٢٨ و١٥٢٩) والخطيب في التاريخ (٩/١٩٧-١٩٨) والبخاري في شرح السنة (١٢/١٣٨-١٣٩ رقم ٣٢٢٦) واللفظ لابن حبان وأحد ألفاظ أحمد إلا أنه قال: «إلا الموت والهزم» إلا أنه لم يقع عند أحد لفظ: «خلق» وإنما: لم يضع» أو «لم ينزل» ونحو ذلك، وورد لفظ «خلق» في حديث أبي سعيد الخدري وابن مسعود وابن عباس وأنس، ولكن سياقها مختلف وحديث أسامة بن شريك صحيح الإسناد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه الفتح (١٠/١٣٤ رقم ٥٦٧٨/الطب/ ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء) من غير لفظ «تعالى». عن أبي هريرة ؓ.

وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٨/١ رقم ٣٤٦٧) - ومن طريقه ابن ماجه (٢/١٣٨ رقم

٣- قال جابر: إن رسول الله ﷺ كوى سعد بن معاذ في أكحله مرتين.^(١)

ولكن لما كان المباح ما أتى بالتخيير بين الفعل والترك، وكان على المكلف أن يختار واحداً في إطار الإباحة، فقد اختلف القائلون بالإباحة أيهما أفضل؛ الفعل أم الترك، فكانوا فريقين:

الفريق الأول: ذهب إلى أن التداوي أفضل.

وهو اختيار القاضي وأبي الوفاء وابن الجوزي وغيرهم، وجزم به ابن هبيرة في «الإفصاح»، من الحنابلة.^(٢)

الفريق الثاني: ذهب إلى ترك التداوي أفضل.

وهو المنصوص عن أحمد.^(٣)

واستدلوا:

بالنصوص التي سبق ذكرها في الإباحة.

أ- مع ما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون»^(٤)

٣٤٣٩ / الطب / ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء) وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (٤ / ٣٦٩ رقم ٧٥٥٥).

(١) أخرجه ابن ماجه (٢ / ١١٥٦ رقم ٣٤٩٤ / الطب / من اكتوى) واللفظ له.

والحديث أخرجه مسلم بمعناه (٤ / ١٧٣١ رقم ٢٢٠٨ / السلام / لكل داء دواء) وأبو داود (عون المعبود ١٠ / ٣٤٥ رقم ٣٨٤٨ / الطب / في الكي).

(٢) انظر الإنصاف (٢ / ٤٦٣) المبدع (٢ / ٢١٣)، الفروع (٢ / ١٦٥)، والروض المربع (١ / ٩٥)، كشاف القناع (٢ / ٧٦).

(٣) انظر: الفروع (٢ / ١٦٥)، كشاف القناع (٢ / ٧٦)، الإنصاف (٢ / ٤٦٣)، الطب النبوي للذهبي (٢٢١).

(٤) سبق تخريجه.

وجه الدلالة: أن الأحاديث دلت على الإباحة، وهي تقتضي التسوية بين الفعل والترك. وحديث ابن عباس لا يناقض أحاديث الإباحة لأنه نص في التوكل وليس في التداوي وهو يرتب ثواباً على التوكل.

فإذا كان ترك التداوي لا يترتب عليه إثم والتوكل يترتب عليه الثواب، فإن ترك التداوي توكلًا يترتب عليه الثواب، وهو أفضل.

فيكون ترك التداوي لتحقيق معنى آخر خارج عنه هو التوكل.

ب- ما روي عن ابن عباس: أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: اصبر، فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها.^(١)

وجه الدلالة: أن الأحاديث دلت على الإباحة، وهي تقتضي التسوية بين الفعل والترك وهو مسلم، وهذا الحديث لا يناقض أحاديث الإباحة وهو نص في الصبر على المرض وليس في التداوي، بالرسول ﷺ يخبر المرأة أنها بخيرة في التداوي بين الفعل والترك، فهو مباح، ولكن يذكرها إلى ناحية في ترك التداوي خارجة عن حكم التداوي، وهي الصبر على المرض وما فيه من الثواب، فتختار هي ترك التداوي في إطار إباحة التداوي، طلباً للأجر في عمل آخر هو الصبر على المرض.

القول الثاني: استحباب التداوي، وأنه مندوب إليه

وإليه ذهب الكاساني من الحنفية^(٢) وهو مذهب الشافعية^(٣)

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: بدائع الصنائع (١٢٧/٥).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٣٣/٩)، شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين وحاشيتنا قليوبي وعميرة (٣٤٤/١)، المجموع شرح المذهب (١٠٦/٥)، فتح العزيز في شرح الوجيز (١٠٥/٥)، وروضة الطالبين (٩٦/٢).

وإستدلوا لذلك:

أ- ما روى أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام»^(١).

ب- قوله ﷺ: «لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى»^(٢).

ج- وقوله ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»^(٣).

د- إن الأعراب قالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «تداووا فإنه لم يضع داء إلا وضع له دواء غير الهرم»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (عون المعبود ١٠/ ٣٥١ رقم ٣٨٥٢/ الطب/ في الأدوية المكروهة) - ومن طريقه البيهقي في السنن (٥/ ١٠) - وفي إسناده إسماعيل بن عياش مختلف فيه، وهو موصوف بسوء الحفظ، والتدليس، وقد عنعن في هذا الإسناد لكنه صرح بالتحديث عند الطبراني - وسيأتي - وفيه أيضاً ثعلبة ابن مسلم الخثعمي الشامي لم يوثقه غير ابن حبان، وذكر الذهبي له خبراً منكراً، ثم إن ابن حبان ذكره ضمن من روى عن أتباع التابعين فإن صح هذا يكون حديثه عن أبي عمران الأنصاري مولى أم الدرداء منقطعاً.

والحديث أخرجه الدولابي في الكنى (٣٨/ ٢) لكن سقط من إسناده إسماعيل بن عياش، وجعله من حديث أبي عمران عن أبي الدرداء، فأسقط منه أم الدرداء، وقد ذكروا لأبي عمران أيضاً رواية عن أبي الدرداء، فيحتمل أن يكون أبو عمران رواه مرة بواسطة ومرة من غير واسطة، أي: إما أن يكون سمعه من كليهما وإما أنه أرسله.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٥٤ رقم ٦٤٩) عن أم الدرداء عن النبي ﷺ، وهذا مرسل، لأن أم الدرداء الصغرى تابعة. وأخرج البيهقي في السنن (١٠/ ٦-٥) عن ابن عمر بسند صحيح أنه كان يشترط على الطبيب أن لا يداوي بشيء مما حرم الله عز وجل! وهناك شواهد تأتي إن شاء الله تعالى في قوله: لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٢٩ رقم ٢٢٠٤/ السلام/ لكل داء دواء.....) وأحمد (٣/ ٣٣٥) والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٦٩ رقم ٧٥٥٦) والحاكم في المستدرک (٤/ ٤٠١) والبيهقي (٩/ ٣٤٣) كلهم عن جابر بن عبد الله بلفظ: «أصيب» ووقع عند أحمد: «أصبت».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

القول الثالث: كراهة التداوي

وقد انقسم القائلون بالكراهة إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى كراهة التداوي مطلقاً.

وهم بعض السلف^(١)، وبه أخذ أكثر المتصوفة^(٢).

واستدلوا:

١- بما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم هم يتوكلون»^(٣).

وجه الدلالة: أن الرقية والكي من التداوي، ودخول الجنة بغير حساب إثابة، فإن كان من شأن ترك التداوي الإثابة، فهو مكروه.

٢- وعن ابن عباس أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها^(٤).

وجه الدلالة: أن المرأة جاءت إلى النبي ﷺ تطلب التداوي، فأخبرها أن تركها للتداوي جزاؤه الجنة، وأن فعلها له لا إثم فيه، وما كانت هذه صفة مكروه.

(١) الجامع من المقدمات، لابن رشد ص ٣١٣، وانظر: القوانين الفقهية لابن جزي ص ٤٣٨، الطب النبوي

للذهبي ص ٢٢١، والبحر الرائق (٢٠٨/٨)، تبين الحقائق (٣٢/٦).

(٢) القوانين الفقهية لابن جزي / ص ٤٣٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

الفريق الثاني: يرى كراهة التداوي قبل نزول الداء،

وهم علماء المالكية^(١)

وجه الكراهة في ذلك، هو أنه اشتغال بأمر يشك في تحقيقه، فحصول ثمرته أمر موهوم فيكون من قبيل العبث.^(٢)

الاتجاه الثالث: وجوب التداوي.

وهم على فريقين:

الفريق الأول: قال بوجوب التداوي مطلقاً.

وهو قول بعض أصحاب أحمد^(٣) ووجه عن أحمد نقله ابن تيمية^(٤)

وجاء موجب القول بوجوب التداوي مطلقاً عن بعض المعاصرين من ذلك:

د. أحمد شرف الدين^(٥) فقد جاء عنه (فكما أن التداوي واجب، فإن التطبيق واجب). والشيخ المراغي^(٦) في قوله (..... هذا هو الأصل في التداوي، وهو واجب ديانة دفعاً للهلاك عن النفس، فإذا رأى ولي الأمر أن شخصاً ما ترك مداوة نفسه وعرضها للهلاك، فلا نظن أن روح الشريعة تأبى أن يرغم ولي الأمر أو مجموعة على

(١) انظر: التداوي والمسؤولية الطبية (ص ١٠٣)، نقلاً عن ابن العربي في القبس شرح موطأ الإمام مالك.

(٢) انظر: التداوي والمسؤولية الطبية (ص ١٠٣).

وقد ظهرت في العصر الحديث أهمية الطب الوقائي وإعطاء المطاعيم كمطعم الملاريا بما لا يقي هذا الرأي قيمة.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢١/٥٦٤)، (٢٤/٢٦٩)، الإنصاف (٢/٤٦٣)، المبدع (٢/٢١٣)، الفروع (٢/١٦٥).

(٤) الطب النبوي للذهبي: (ص ٢٢١).

(٥) الأحكام الشرعية للأعمال الطبية (ص ٨١).

(٦) انظر مقال «مسئولية الأطباء» للمراغي (مجلة الأزهر مجلد ٢٠/١٣٦٨ هـ/ص ٢١٣).

العلاج والمداواة إذا تحقق بذلك غرض صحيح للفرد أو جماعة المسلمين).

الفريق الثاني: قال بوجوب التداوي، وقيده بالعلم بمحصول الشفاء وهو قول الشافعية^(١)، وبعض الحنابلة^(٢)، وابن تيمية^(٣).

قال الإمام البغوي رحمه الله: (إذا علم الشفاء في المداواة وجبت)^(٤)

قال في الفروع: (وقيل: يجب، زاد بعضهم: إن ظن نفعه، وليساً سواء).

قال ابن تيمية رحمه الله^(٥): (وقد يكون منه ما هو واجب، وهو ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره، كما يجب أكل الميتة عند الضرورة، فإنه أوجب عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء، وقد قال مسروق: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار، فقد يحصل للإنسان إذا إستمر المرض ما إن لم يعالج معه مات والعلاج المعتاد تحصل معه الحياة كالتغذية للضعيف وكاستخراج الدم أحياناً).

الترجيح:

من خلال عرضنا لإختلاف الفقهاء في حكم التداوي وسردنا لأدلثهم فإن الباحث يميل إلى ترجيح:

إن حكم التداوي هو الندب، وذلك جمعاً بين:

(١) انظر: الآداب الشرعية (٣٥٠ / ٢)، حاشيتا قليوبي وعميرة (٣٤٤ / ١).

(٢) انظر: الإنصاف (٤٦٣ / ٢)، المبدع (٢١٣ / ٢)، الفروع (١٦٥ / ٢)، (٩٥ / ١).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢ / ١٨).

(٤) الآداب الشرعية (٣٥٠ / ٢).

(٥) الفروع (١٦٥ / ٢).

أولاً: الأحاديث التي فيها إرشاد وأمر

١- الأدلة التي فيها إرشاد:

١- قوله ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء».

٢- قوله ﷺ: «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى».

٣- وما روي من حديث ابن مسعود يرفعه أن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله.

ب- الدليل الذي فيه أمر:

ما روي عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوي؟ فقال: «نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد. قالوا ما هو يا رسول الله؟ قال: الهرم».

ثانياً: الأحاديث التي تدل على أن ترك التداوي أفضل:

أ- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمّتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم بتوكلون».

ب- وعن ابن عباس أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت تعالى الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها.

فيكون هذان الحديثان صارفين للأمر بالتداوي الوارد في إجابته ﷺ للأعراب عن الوجوب، ويكون مفيداً للندب.

المبحث الثاني

مساهمات علماء المسلمين في الطب

المطلب الأول : تطوير فروع الطب المختلفة

المطلب الثاني : بناء صروح الطب

إن نظرة الإسلام إلى التداوي والتوجيه الإسلامي في الحض عليه وترتيب الثواب عليه وما نص عليه الفقهاء^(١) من أن الاشتغال به من فروض الكفاية التي تعلقت بها مصالح دينية ودنيوية كثيرة لا ينتظم الأمر إلا بمحصولها. بالإضافة إلى تشجيع الخلفاء والأمراء المسلمين للعلم وأهله ودفع المسلمين إلى طلبه والحرص عليه والبحث عنه، وازدهر العلم ونبع العلماء في فروع العلم المختلفة وخاصة الطب.^(٢)

لقد كان الطب نضالا مستمرا بين الإنسان والمرض منذ القديم وقد أسهم المسلمون بقسط في هذا المجال وبذلوا جهودا كبيرة من أجل التوصل الى حقيقة الأمراض، والطريقة المثلى لعلاجها^(٣). وإذا تعمق الباحث في دراسة المدنية الإسلامية وقابلها بما كانت عليه أوروبية أثناء تغلب الإسلام فإنه يعطي المسلمين نصيبهم من العمل في سبيل تقدم الإنسانية، ويحتاج الباحث لأن يكون ملما إماما تاما باللغة العربية وبنفسية المسلمين وأن يكون منصفا حتى تثمر جهودها أثناء البحث.

(١) انظر : كشاف القناع : (٣ : ٣٤)، المنشور في القواعد (٣ : ٣٣)

(٢) انظر : الانتفاع بأجزاء الأدي في الفقه الإسلامي، عصمت الله عنايت ص ٢٨٦

(٣) انظر : دراسات في الفكر العربي الإسلامي د. إبراهيم زيد الكيلاني ورفاقه ص ٣٠٢.

على ان تقدير مساهمة المسلمين في الطب ليس سهلاً للأسباب التالية:

١ - إن معظم التآليف والمخطوطات العربية قد فُقد، وإن ما وصلنا منها لا يجاوز واحداً بالمائة.

فالخراب الذي أحدثه المغول في الشرق وتعصب الإفرنج في جنوب غربي أوروية كان السبب الأكثر لهذا الفقدان.

٢ - إن أكثر الكتب التي بقيت وصلت لنا مبتورة مشوهة بسبب الخطأ في النسخ أو الإضافة عليها فقد تعدد النقل وكثرت الإضافة والتجوير بكثرة الناقلين حتى كدنا لا نجد نسختين لمؤلف واحد متفقتين.

٣ - إن العرب كانوا مؤرخي حوادث ينقلون الحوادث كما سمعوها أو قرأوها بدون تمحيص في أغلب الأوقات وكانت أكثر معلوماتهم سماعية أخذوها من أفواه الناس. فضاعت هذه المصادر حينما مات أصحابها. وهكذا يستحيل علينا - من المصادر التي لدينا - أن نجزم بأن مكتبة الإسكندرية حرقت بأمر الخليفة عمر، فالحادثة رواها المؤرخون العرب لأول مرة بعد مرور ستة قرون على حدوثها والرواية لا تسند إلى مصادر موثوقة. فكيف شأن الطب؟!

٤ - إن المخطوطات التي وصلتنا لم تدرس حق الدرس، فصحة الحكم عليها تقضي معرفة تامة باللغة وبالموضوع وبالنقد الصحيح، وهذا لم يعمل إلا في حوادث قليلة. فبدرس كتاب «شرح تشريح القانون» لابن نفيس درساً مدققاً نجد أن المؤلف كان أول من وصف الدورة الرئوية وأول من أشار إلى الحويصلات الرئوية والشرابين الساجية. فالدرس الدقيق للمخطوطات يمكننا أن نصل إلى تقدير لمساهمة العرب في الطب.

٥ - إن كثيراً من الأصول اليونانية فُقدت ولا تعرف إلا من ترجمتها العربية وبما

أن العرب كانوا لا يكتفون بالترجمة فقط، بل يعلقون عليها ويشرحونها ويضيفون عليها من اختباراتهم أصبح من الصعب التفريق بين الأصل والترجمة. وهكذا الحال في الكتب الهندية والفارسية التي ترجمت إلى العربية.

٦ - إن الترجمات اللاتينية للأصول العربية كانت غالبا ناقصة وغير دقيقة، فكان المترجمون لا يكتفون أنفسهم معرفة المعنى الحقيقي للكلمات العربية، بل كانوا يكتفون بنقلها لللاتينية بلفظها العربي مشوها، وهكذا فكلمة «عصص» صارت عندهم «هعصص» وكلمة «العجز» صارت «الهويس»، وأغرب من ذلك ترجمتهم لأسماء المؤلفين، «فأبوبكر الرازي» سمي «راسس»، و«بوباركارس» و«أوبتري»، وأبو القاسم الزاهراوي ترجم إلى «البوكاسيس» و«الأساراني» و«زهروفيوس». ولهذا يحتاج الباحث إلى أن يكون منجما كي يعرف أن «بوباكارس» معناه «الرازي»، و«جيزوهالي» معناه عيسى بن علي، و«أفنياس» معناه ابن باجة.

٧ - إن بعض المترجمين من العربية إلى اللاتينية ولاسيما قسطنطين الإفريقي، كانوا ينسبون ما يترجمون إلى أنفسهم، فهذا الإفريقي لم يشر إلى المصادر التي نقل عنها ولا إلى أسماء مؤلفيها وبما أن تقدير الأوروبيين لجهود العرب في حقل الطب كان غالبا يستند إلى هذه الترجمات اللاتينية المشوهة والناقصة. فقد جاء هذا التقرير نفسه ناقصا ومشوها. (فكمبل) يعتقد ان الترجمات اللاتينية لم تؤد المعنى الصحيح للطب العربي.^(١)

ولكن مع صعوبة تقدير مساهمة علماء المسلمين فإنه يسلم لهم أنهم :-

١ - وضعوا أبسط مبادئ الطب وأصول الفحص الطبي كما هو معروف الآن، مثل

(١) انظر : الطب العربي د. أمين أسعد خير الله ص ٦٣ وما بعدها.

فحص البول وجس النبض والاستفسار من المريض عما يشكو وطرق معيشته^(١)

٢ - خلصوا علم الطب من التنجيم والرقى والتمائم والأحجية التي وقعت فيها الأمم الأخرى، فقد اعتبر الأوروبيون أن الأمراض غضب من الله ونقمة وعقاب على ما يقترفه الشخص من ذنوب، فالذنوب والخطيئة سبب الأمراض والأوباء. أو أن الشياطين والجن قد حلت في الشخص المريض فسيبت له الأمراض، أو أن الكواكب والنجوم وما يتساقط منها من نيازك وشهب سببت سموما وأجخرة جلبت الأمراض والوباء.^(٢)

كما قال المسلمون بالتجارب في حقلي التشخيص والعلاج وكان هناك بحث علمي بمفهومه الحاضر على الرغم من عدم توفر المجاهر الإلكترونية أو المختبرات المكتملة أو الأجهزة الحديثة أو أسلوب التخدير المعروف عندنا، وهو مقسم الى أربعة أقسام:

أ - البحث العلمي بالملاحظة والمراقبة والتدوين:

من ذلك مراقبة الحيوانات في أفعالها وتصرفاتها واغذائها وتأثير الأدوية والمواد السامة عليها.

ب - البحث العلمي بإجراء التجربة :

فلكي يتحقق الرازي مثلا من أثر الفصد كعلاج لمرض التهاب السحايا قسم مرضاه إلى مجموعتين، يعالج أحدهما بالفصد ويمتنع عن فصد الأخرى، ثم يراقب النتيجة في أفراد المجموعتين حتى ينتهي في قيمة العلاج إلى حكم مقنع.

(١) دراسات في الفكر العربي الاسلامي د. ابراهيم زيد الكيلاني ورفاقه ص ٣٠٢ وما بعدها

(٢) انظر : نشأة الطب، د. عبدالله عبدالرازق السعيد ص ٧٢

ج- التشريح والاطلاع على تكوين الجسم:

وقد مارس الأطباء المسلمون التشريح على نطاق ضيق بسبب الموقف الشرعي لبعض الفقهاء إلا أنهم شرحوا الحيوانات وخاصة القروء.

د- البحث عن سبب الأمراض ووضع أسس علمية لتشخيصها.

فقد فحصوا البول ورتبوا نتائج الفحص من حيث لون البول وكميته ورائحته وقوامه وملامسه وتعكره وصفاته ووجود الدم والترسبات فيه، وربطوا كل حالة منه بأمراض مخصوصة، وكذلك كانوا يجرون فحص الغائط والبصاق والمني.^(١)

٣ - توصلوا إلى حقائق طبية رائعة إذ أجروا العمليات الجراحية وعالجوا الحالات النفسية المستعصية وطبقوا الكلايب على الجنين الميت في الولادات العسرة، واستعملوا كيس الثلج على الرأس في الحميات الشديدة ووصفوا أعراض التهاب السحايا، وأعطوا تشخيصاً للحصبة والجذري، وأجروا عملية الماء الأبيض (الساد) على العين ووصفوا الدورة الدموية الصغرى بشكلها الصحيح وفرقوا بين شلل الوجه الناتج عن سبب داخلي في الدماغ وعن سبب خارجي.^(٢)

كما شخّصوا الكثير من عوارض الأمراض من الرأس إلى القدمين؛ مثل الصداع والأرق والفالج والتشنج والتزلات والعطاس والسعال وسقوط الشعر والبثور والأورام والبُحّة والسل والقلب والكبد والبواسير ووجع المفاصل والحكة والبرص وأمراض الأسنان والأنف واللسان والرمم.^(٣)

(١) انظر : بحث : العلمي عند الاطباء العرب د. عادل البكري (دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب) ص ٩٩ وما بعدها.

(٢) البحث السابق ص ٩٩.

(٣) دراسات في الفكر العربي الاسلامي د. ابراهيم زيد الكيلاني ورفاقه ص ٣٠٢

٤ - وضعوا الدراسات الكثيرة في الكتب الطبية التي ألفوها والتي يبلغ عدد ماعرفناه منها نحو الثلاثة آلاف كتاب؛^(١) منها وكتاب «القانون في الطب» لابن سينا، و«شرح القانون» للإمام فخر الدين الرازي، كتاب «الشفاء» و«كتاب القولنج» لابن سينا أيضا و«المعتبر في والحكمة» لابن ملكا البغدادي، و«كتاب التيسير في المداواة والتدبير» لأبي العلاء بن زهرة و«كتاب الشامل في الطب» لابن النفيس^(٢)

وقد يسأل البعض؛ ما هي الثمرة العملية لمعرفة مساهمة المسلمين في الطب وخاصة في هذا المقام الذي نبحت فيه المسائل الطبية المستجدة ومناطق أحكامها الشرعية للوصول للحكم الشرعي فيها؟ فالجواب أن النتيجة العملية من ذلك قليلة في الواقع وإن كان في الإمكان إحياء استعمال بعض العقاقير والأغذية التي استعمالها القدماء.

كما تحصل بعض الفائدة من العودة إلى الطرق النفسية التي استعمالها القدماء، ناهيك عن الفائدة العملية من هذا البحث فدراسته ضرورة لإدراك تطور الطب ورقبه ولإثبات فضل الطب العربي على العالم بأجمعه إذ سادة تعاليمه مدة ثمانية قرون عندما كانت أوروبا تتخبط في دياجير الجهل.^(٣)

والأهم من ذلك أن القاريء لما سيأتي من إنجازات علمية جديدة، سوف يدرك انعدام مشاركة الأطباء المسلمين في هذه المنجزات الطبية الحديثة وإن ما تابع به البحث هذه المنجزات من بيان أحكامها الشرعية صَوَّر المسلمين بمظهر التابع والذليل الذي يقبل ويرفض ويضعف جهده غيره دون أن يساهم فيه.

(١) انظر : بحث البحث العلمي عند الاطباء العرب د. عادل البكري (دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب) ص ٩٩

(٢) أنظر أعلام العرب والمسلمين في الطب د. عبد الله الدفاع ص ١٥٨ وبعدها.

(٣) أنظر الطب العربي د. أمين أسعد خير الله ص ٢١٥ وما بعدها.

فهذه اللوحة تبين أن المسلمين لم يكونوا دوما بهذه الصفة، بل ساهموا في الجهد الإنساني في مجال الطب، ووضعوا لبنة ارتكزت عليها لبنات كونت هذا الصرح من المنجزات الطبية، وليدرك الباحثون والعلماء في الوقت الحاضر أن المحسار دورهم إنما هو بسبب ضعف همتهم وأن الإسلام الذي اعتنقه سلفهم وفهموه كان حافزا للعلم والتقدم والإنجاز لهم. وما زال الوقت أمامهم لينفضوا غبار التبعية ويتبوأوا المركز الذي أراده الله لهم.

وتكملة للصورة نعرض لمحة بسيطة عن مساهمة علماء المسلمين في مجالين كان لهما الأثر في تقدم الطب على صورته الحاضرة.

المطلب الأول

تطوير فروع الطب المختلفة

أولا : من العلوم الطبية الأساسية

(علم التشريح)

وهو العلم الذي يعنى بتركيب الجسم، والباحثون على خلاف في ممارسة الاطباء المسلمين التشريح على الإنسان أم لا.^(١)

والراجع انهم مارسوا التشريح على نطق ضيق، يقول ابن النفيس «وقد صدنا

(١) انظر: الطب الاسلامي د. أحمد طه ص ٤٧، وبحث «البحث العلمي عند الاطباء العرب» د. عادل البكري (دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب) ص ١٠٤، واعلام العرب والمسلمين في الطب د. علي الدفاع ص ٤٧، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم ص ٩٩.

عن مباشرة التشريح وازع الشريعة وما في أخلاقنا من الرحمة .

وقد جاء عن الرازي ما يدل على أنه مارس التشريح، قال: «رجل سقط عن دابته فذهب حسن الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه، فلما علمت أنه سقط على آخر فقار في الرقبة علمت أنه مخرج العصب الذي بعده الفقرة السابعة أصابها في أول مخرجها؛ لأنني كنت أعلم من التشريح أن الجزء الأسفل من أجزاء العصبية الأخيرة النابت من العنق يصير إلى الأصبعين الخنصر والبنصر، ويتفرق في الجلد المحيط بهما وفي النصف من جلد الوسطى».

كما أفرد ابن سينا في كتابه القانون ٥٣ صفحة من الجزء الأول لتشريح الأعضاء حيث تحدث عن تشريح العظام بتفصيل عجيب يدل على أنه درس الهيكل العظمي دراسة وافية، وكذلك غيره من أجزاء الجسم.

وكذلك وصف ابن النفيس للقلب والدورة الدموية الصغرى دقيق جداً يدل دلالة قطعية على أنه مارس التشريح، وقد صرح بأن التشريح يكذب ما قالوه من أن القلب ثلاثة بطون أو أن في الحاجز البطينين منفذاً بين التجويفين، وهو كلام في منتهى الدقة التشريحية^(١) إلا أن لدينا ما يفيد أن بعض الأطباء قاموا بتشريح الحيوانات فقد طلب يوحنا بن ماسويه ت ٨٥٦ م من الخليفة المعتصم أن يكتب إلى واليه في مصر ليرسل إليه قرداً ليشرحها، لأنه لا يستطيع الحصول عليها من بغداد.^(٢)

وعلى الرغم من اعتماد الأطباء المسلمين في علم التشريح على أقوال من سبقوهم من أطباء أمثال جالينوس؛ إلا أن لهم فضلاً في تطوير هذا العلم ولهم فيه ابتكارات نذكر منها :-

(١) نقلاً عن كتاب «علم التشريح عند المسلمين» د. محمد علي البار ص ١٥ وما بعدها.

(٢) أنظر: الطب الاسلامي د. أحمد طه ص ٤٧.

١ - الكتب والتصانيف:

لقد حفظ الأطباء المسلمون كتب جالينوس وأبقراط في التشريح والتي فقدت أصولها اليونانية بتصنيفها وجمعها وشرحها ونقدها بروعي علمي صحيح، وابتدع ابن النفيس تصنيف مؤلف خاص بالتشريح في تأليفه كتاب «شرح تشريح القانون».

كما أرشد موفق الدين البغدادي إلى مواطن الضعف في وصف جالينوس لبعض أجزاء الهيكل العظمي، على سبيل المثال إن الفك الأسفل قطعة واحدة وليس قطعتين بعد أن فحص أكثر من ألفي جمجمة بشرية في أحد المقابر.

٢ - الدورة الدموية الصغرى:

لقد سبق ابن النفيس هارفي الإنكليزي في اكتشاف الدورة الدموية الصغرى بمئات السنين كما سبق سرفيتوس بثلاثة قرون في اكتشاف وإثبات أن الدم ينقى في الرئتين كما كان ابن النفيس أول من فطن إلى وجود أوعية داخل جرم القلب تغذيها.^(١)

ثانيا: الجراحة

احتقر المسلمون الجراحة في بادئ أمرهم وترفعوا عنها وسموها «صناعة اليد» ولم تكن علما مستقلا، واعتبرت من جملة صناعة الحجامين التي لاتليق بمقام الأطباء. إلا أن أطباء المسلمين قد أدخلوا تعديلات جوهرية عليها ونجحوا نجاحا باهرا في

(١) أنظر: الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم ص ١٠٠ وما بعدها ومقال «عطاء المسلمين التاريخي في ميدان الطب والصيدلة» محمد القاضي (مجلة الأمة ١/١٢ تشرين ١٩٨١ ص ٣٦ وما بعدها

الجراحة مع تقدم الطب العربي حتى وصلت الى اوجها على يدي أبي القسم الزهراوي في الاندلس في القرن الرابع الهجري^(١) في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا في ظلام دامس من الجهل^(٢).

وكان أطباء المسلمين أول من أفرد الجراحة بالكتابة، فكتب علي بن عباس فصلا خاصا عن الجراحة في كتابه «كامل الصناعة» ثم تبعه الرازي بموسعته «الحاوي في الطب» الذي تضمن مواضيع في مختلف فروع الجراحة.^(٣)

لقد أدرك المسلمون أن دينهم يأمر بالمحافظة على النفس، وعرفوا بالتجربة أن الجراحة في بعض الحالات أجدى وسيلة في حسم الداء مما زاد اهتمامهم بالطب الجراحي.^(٤)

ومن العمليات الجراحية التي بينوها في كتبهم :

١ - عملية تفتيت الحصى الموجودة في المثانة.

٢ - عمليات تجبير الكسور الموجودة في الأنف.

٣ - عملية فتح القصبة الهوائية.

٤ - عملية استئصال اللوزتين.

٥ - عملية فتح الخراج الموجود في اللهاة.

(١) أنظر: الطب الاسلامي د. احمد طه ٦٣، ودراسات في الفكر العربي الاسلامي د. إبراهيم زيد الكيلاني ورفاقه ص ٣٠٦.

(٢) أنظر: اعلام العرب والمسلمين في الطب د. علي الدغاع ص ٥٢

(٣) أنظر: المرجع السابق

(٤) أنظر : مقالة «عطاء المسلمين التاريخي في ميدان الطب والصيدلة» محمد القاضي (مجلة الامة ١٢ / ١ / تشرين اول ١٩٨١) ص ٣٧ وما بعدها.

٦- عملية قطع اللحم النابت في الأذن

٧- عملية ثقب الأذن المسدودة.

وقد تكلموا عن الفرق بين الأورام الخبيثة والزوائد اللحمية، ووصفوا جراحة الجهاز التنفسي وفرقوا بين النزيف الشرياني والنزيف الوريدي، واستعملوا الفتائل والأنابيب التي يمر فيها الصديد والقبيح كما عرفوا التخدير والخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوان.

وقد توج الزهراوي علم الجراحة بتأليفه كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» وتعتبر (المقالة الثلاثون) من كتابه التي أفردتها للجراحة أول ما كتب في علم الجراحة مقرونا برسوم إيضاحية كثيرة للأدوات والآلات الجراحية^(١)

ثالثا : الولادة وأمراض النساء:

كان أول ما ظهر من الكتب العربية في الطب النسوي هو الكتاب التاسع من الحاوي في الطب لأبي بكر الرازي حيث خصصه للأمراض النسائية والتوليد.

وقد أعطى الأطباء العرب المسلمون وصفا تشريحيًا يكاد يكون كاملا للأعضاء التناسلية للمرأة. كما تحدثوا عن الحيض من حيث أوقاته ومدته والسن الذي به يتبدئ وفائدته الفسيولوجية للمرأة كما تناولوا طرق الفحص في الأمراض النسائية لما لها من خصوصية شرعية وأمراض الرحم كبواسير الرحم ونواصيره وانقلابه وأورامه، وخراج الحوض والرتقة وعلاجها، أما ما يتعلق بالحمل والولادة فتحدثوا عن علامات الحمل وقرب الولادة وعملية الولادة وأسباب الإسقاط وعلامته وأسباب تعسر الولادة، ووسائل منع الحمل كما تعرضوا للجراحات النسوية في حالات وفاة الجنين في بطن أمه وكذلك التوليد من البطن.^(٢)

(١) انظر : أحكام الجراحة الطبية والآر المترتبة عليها د. محمد الشنقيطي ص ٤٩ وما بعدها، والطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات ص ١٠ وما بعدها.

(٢) أنظر ذلك مفصلا في : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم ص ١٥٥ وما بعدها

رابعاً: الطب الباطني

وكان يحكم نظرة الأطباء المسلمين إلى الأمراض الباطنية نظرية الأخلاط والأمزجة اليونانية^(١) وكانت زياداتهم مبنية على التجربة العلمية التي تعتمد التجربة والملاحظة والاستنتاج، والتي أدت بالنتيجة إلى نقص النظرية اليونانية، فقد تناولوا الجهاز الهضمي بالحديث وبينوا أسباب عسر البلع وتحدثوا عن قروح المعدة والأمعاء وقيء الدم والكبد وأمراضه، وكذلك الجهاز التنفسي وتحدثوا عن الربو وضيق النفس ونفث الدم وخروجه من الفم بالقيء أو السعال أو النحضة، وذات الجنب، وقروح الرئة ومنها السل، كما تناولوا امراض القلب والدورة الدموية، فتحدثوا عن التهابات كيس القلب، والجلطة والخفقان وربو القلب وتحدثوا في أمراض الدم عن حالة ارتجاع اورطي وضغط الدم وعلاجه وداء الناعور وفقر الدم، كما تناولوا أمراض الكلى والمجاري البولية وأمراض الجهاز العصبي التي منها التهاب السحايا والصرع والسكنة والفالج واللقوة، وكذلك أمراض الغدد الصماء والمفاصل.^(٢)

خامساً : طب الأطفال

ترك لنا الأطباء المسلمون أكثر من خمسة وأربعين مؤلفاً بين كتاب مستقل وجزء من كتاب في طب الأطفال. مازالت إلى اليوم غير تلك التي فقدت.

(١) وهي تعتمد على أن كل الأشياء مكونة من الأرض أو التراب والهواء والنار والماء يشترك معها البرودة والحرارة والجفاف والرطوبة.

(٢) انظر : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د.عمود الحاج قاسم ص ١٧٣ وما بعدها، وأعلام العرب والمسلمين في الطب، د. علي الرفاع ص ٤٠ وما بعدها، والطب الإسلامي د. أحمد طه ٥٣ وما بعدها.

ونظراً لكثرة الأمراض التي تصيب الأطفال في سنهم المبكر فإن أطباء المسلمين أعطوا جل وقتهم لتشخيص وإيجاد العلاج المفيد لهذه الأمراض.

بل تعدى الأمر ذلك إلى العناية بالأم أثناء الحمل، والاشتغال بعلم الأجنة وتطور نمو الجنين، وقسموا حياة الطفل كالاتي :

- ١ - سن الولادة وهي محصورة بين وقت خروج الطفل من الرحم إلى الأربعين يوماً.
- ٢ - سن الصبيان، وهي المدة ما بين أربعين يوماً إلى وقت نبات الأضراس.
- ٣ - سن ابن سبع سنين، وهي المحصورة بين وقت نبات الأضراس إلى السابعة من العمر.

٤ - سن المختلمين وهي الفترة ما بين سبع سنوات إلى سن البلوغ.

وقد ورث هذا التقسيم الطب المعاصر

كما أولى أطباء المسلمين عناية فائقة لتغذية الجنين ورضاعته ومشاكلها^(١)

سادساً: طب العيون (الكحالية) :

وكانوا يعالجون نتوء العين والتصاق الجفن بها، وقد ألف أطباء المسلمين كتباً كثيرة في أمراض العين منها كتاب في علاج العين لعلي بن عيسى.^(٢)

بل ذهب البعض إلى أن طب العيون من ابتداء العرب وأن مؤلفات العرب بقيت تدرس في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر.^(٣)

وقد كان الكحال يمنح إجازة ممارسة الكحالة إذا أتقن الناحية الوقائية: وهي كيفية

(١) انظر : الطب عند العرب والمسلمين، تاريخ ومساهمات، د. محمود الحاج قاسم ص ٢٣٥ وما بعدها،

اعلام العرب والمسلمين في الطب، د. علي الدفاع ص ٤٦، ٤٧.

(٢) انظر : دراسات في الفكر العربي الاسلامي د. ابراهيم زيد الكيلاني ورفاقه ص ٣٠٧.

(٣) انظر : اعلام العرب والمسلمين في الطب، د. علي الدفاع ص ٥٨.

حفظ العين السليمة، والناحية العلاجية وهي كيفية إزالة المرض من العين المصابة. كما تعرضوا لتشريح العين وأمراضها كأمراض الملتحمة وأمراض الأجفان والأمراض التي تصيب الماق، والأمراض التي تصيب القرنية، والأمراض التي تصيب الحدقة.

وكذلك العمليات الجراحية كعملية الظفرة وغيرها^(١)

المطلب الثاني

بناء صروح الطب

أولا : المستشفيات (البيمارستانات)

(البيمارستانات) كلمة فارسية الأصل مركبة من كلمتين معناها دار المرضى، وقد أطلق هذا الاسم في العصور الإسلامية على المستشفيات وكانت تخفف أحيانا إلى مارستان.

وان كان أبقرط مؤسس البيمارستان، إلا أن البيمارستانات الإسلامية وإن ابتدأت بسيطة إلا أنها بمرور الأيام أصبحت لها مميزات لا تختلف كثيرا عن مميزات مستشفياتنا في الوقت الحاضر.

فتعتبر تلك الخيمة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها في غزوة الخندق، والتي كانت رفيذة الأسلمية تداوي الجرحى فيها نواة هذه البيمارستانات، كما يعتبر منشيء أول بيمارستان كامل ناضج في الاسلام الخليفة الوليد بن عبد الملك، عندما أنشأ بيمارستان للمجدوبين والعميان سنة ٨٨ هـ.^(٢)

(١) انظر : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم ص ٢٩٩ وما بعدها.

(٢) أنظر : الطب الإسلامي د. احمد طه ص ٦٩

ونعرض فيما يلي للاشكال التي انتهت اليها البيمارستانات.

أ - المستشفيات الثابتة

١ - البيمارستان العام (المستشفى العام):

كانت معظم البيمارستانات تبنى في أحسن الأماكن موقعا على الربوات أو جوانب الأنهار وكانت قاعات البيمارستان فسيحة البناء، والماء فيها جارية. ^(١) وكانت على طراز فاخر وعمارة ممتازة ويتألف المستشفى من جناحين أحدهما للرجال وآخر منفصل للنساء، وكل جناح منهما ينقسم إلى قاعات حسب نوع المرض، فهناك قاعة للجراحة وأخرى للتجبير (العظام)، وثالثة للكحالة (أمراض العيون)، وقاعة للأمراض الباطنية، وهذه بدورها منقسمة إلى أقسام منها قسم للمحمومين (الحميات) وقسم لمرضى الأمراض العقلية وقسم لمن يعاني من الاسهال... وهكذا.

وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان النباتات ذات الروائح الزكية وتدفا بإحراق البخور شتاء وتبرد بالمرائح الكبيرة صيفا... وقد زودت قاعات المرضى بالتخوت والفرش والمخدات واللحف والملاءات وخصص لكل مريض فرش كامل... ولكل قسم من أقسام المستشفى خدم وفراشون وقوام من الرجال والنساء يقومون بخدمة المرضى المقيمين وإطعامهم وترتيب وتنظيف أماكنهم وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام كما يقومون بتقديم الطعام لهم ويفرقون عليهم الأدوية والاشربة التي وصفت لهم، ويقومون كذلك بالطبخ للمرضى في قاعات خصصت لاعداد الطعام ويسلمون لهم غذاءهم بكرة وعشية، ويجعلون لكل مريض ما طبخ له من دجاج ولحم وغيره في آنية منفردة مغطاه لا يشاركه فيها مريض آخر. ^(٢) أما عدد أطباء المستشفى فكان يتوقف على سعة المستشفى؛ فقد يكون به أربعة أو ستة أو عشرة وقد كان في المستشفى العضدي أربعة وعشرون طبيا. وفي المستشفى رئيس يسمى الساعور وهو

(١) أنظر : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. عمود الحاج قاسم ص ٣١٣

(٢) أنظر : الطب الاسلامي، د. احمد طه ص ٦٩ وما بعدها

رئيس اطباء المستشفى وفي المستشفى الغلمان وهم الذين يقومون مقام الموظفين الصحيين والمعتمدين، وفيه الصيادلة ورئيسهم إن وجدت صيدلية ويرأس المستشفى بكافة فروعه ناظر المستشفى أما تفنيس المستشفى فانه منوط بصاحب الحسبة.^(١)

ولكل من البيمارستانات أوقاف تعولها، وكانوا يسجلون الوقف في حجج مكتوبة، ينقسون بعض ما فيها على الحجارة، ويبنون فيها أن الغاية هي تشييد البيمارستان والاعتناء بالمرضى، وكانت عائدات الأوقاف المداخل الاساسية التي تفي بمحاجات البيمارستان من طعام ولباس ومحروقات وأدوية ورواتب الأطباء والمرضى وبقية العاملين في المؤسسة^(٢)

ولكل مريض بطاقة يدون بها الطبيب ملاحظاته عند المعالجة وللطبيب سجل خاص يدون فيه ملاحظاته عن الأمراض التي يعالجها ويبنى تجاربه واختباراته على الملاحظات، وكان أحد الأطباء إذا ما أعيا عليه تشخيص داء، أو معالجة مريض، أو أشكل عليه أمر فأنه كان يعرض هذا على رئيس الفرع، وهذا يعرضه على رئيس الاطباء، فعندئذ يجمع الرئيس الاطباء الذين ينسبهم لكي يفحصوا المريض ويتداولوا طريقة معالجته.

وكان بعض الأطباء يلازمون البيمارستان ليلاً ونهاراً، ويسهرون على راحة المرضى، وهي ما تقارب الطبيب الخضر الذي يكون في المستشفى في الوقت الحاضر، ولهم بذلك نظام يتبعونه، فبعضهم يلازم المستشفى يوماً واحداً في الأسبوع أو يومين أو أكثر بعدد أطباء المستشفى^(٣)

٢- بيمارستانات السجون

لقد كان العرب المسلمون ينطلقون في اعمالهم من تعاليم الشريعة السمحة ومن ذلك معاملتهم للمسجونين من المرضى. فانهم لم يرضوا للمسجونين أن يبقوا

(١) انظر : دور العلاج والرعاية في الاسلام، سعيد الديوة جي ص ١٤ وما بعدها.

(٢) انظر : الطب عند العرب، حنيفة الخطيب ص ٢٢٠ وما بعدها

(٣) انظر : دور العلاج والرعاية في الاسلام، سعيد الديوة جي ص ١٥ وما بعدها.

محرومين من الرعاية الطبية وغيرهم ينعم بها خارج السجن، لذا ولأول مرة في التاريخ لاحظ علي بن عيسى الجراح وزير المقتدر بالله العباسي في القرن الثالث الهجري ضرورة ذلك فكتب الى سنان بن ثابت بن قرة، رئيس أطباء بغداد حيثئذ ان يعين طبيباً يعالج مرضى السجن يومياً^(١) وهكذا صار في السجن بيمارستانات خاصة بها. ولها الأطباء والصيادلة والقومة للعناية بأمر من في السجن^(٢)

٣ - بيمارستان المدرسة

كان في المدارس الكبيرة طبيب يتفقد من في المدرسة من المدرسين والطلاب والخدم والقومة والفراشين، يراجعونه اذا مرضوا فيقوم بفحصهم ومعالجتهم. ويكون في بعض المدارس قومة يعملون بتوجيه الطبيب فيشرفون على المرضى وينهون أخبارهم إلى الطبيب وبعد أن يطلع الطبيب على ما ينقلونه إليه كل يوم من أخبار المرضى الذين هم في بيمارستان المدرسة يأمرهم بما يقدمونه لكل واحد منهم. وإذا وجد حاجة لزيارة احد المرضى فانه يذهب اليه مع الموكل بالاشراف عليه، ويعيد فحصه تفقد حاله ثم يطيه العلاج اللازم.

فمثلاً كان في المدرسة المستنصرية ببغداد طبيب يفحص المرضى ويصف ادوية من الصيدلية الخاصة في المدرسة^(٣)

ب - مستشفيات العزل:

١ - دور المجانين

بدىء بإقامة مستشفيات للبلهلاء والمجانين منذ القرن الأول الهجري، فهؤلاء كانوا

(١) انظر : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم. ص ٣١٨ وما بعدها والطب العربي د. امين سعد خير الله ص ٧٠، والطب عند العرب حنيفة الخطيب ص ٢٣٣.

(٢) انظر : دور العلاج والرعاية في الاسلام سعيد الديوة جي ص ١٩

(٣) انظر : دور العلاج والرعاية في الاسلام. سعيد الديوة جي ص ١٩ وما بعدها والطب عند العرب تاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم ص ٣١٩، والطب عند العرب، حنيفة الخطيب ص ٢٣٢.

يعتبرون عاجزين عن القيام بمحاجاتهم وأن من واجب الدولة ان تقوم بخدمتهم، وقد كانوا يفردون بيوتا خاصة في المستشفيات الكبرى لهؤلاء المرضى، وكانت نوافذ أكثر الغرف مشبكة بالحديد.^(١)

وكانوا في هذه المستشفيات يعاملون بمتهى الإنسانية وكان الأطباء يعالجونهم بالعقاقير والطرق النفسية^(٢) وكان يشرف على الدار أطباء لهم وقوف على نفسيات المصابين يتحسسون أن الجنون بطرق نفسانية دقيقة يساعدهم بهذا خدم وقومة وأعاون، ومن طرقهم الطريفة في معالجة المصابين بالجنون هو التطبيب بالوهم. وكان له الفضل في شفاء كثير من الموسوسين والمصابين بالجنون، من ذلك مرض عرضت له علة توهم بها أن على رأسه دنا فكان علاجه أن رمي من سطح بيت اعلى من رأسه بذراع دنا فتكسر فلم يشك المريض أنه الذي على رأسه فبرء.^(٣)

٢ - دور الزمنى

وهي الدور التي كان يحجر بها على ذوي العاهات والامراض المعدية كالجدام، حتى إن أول مستشفى تم بناؤه في التاريخ الإسلامي كان زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك، وكان هذا المستشفى متخصصاً في مرض الجدام والجذرين ويعتبر أول مستشفى متخصص في التاريخ^(٤) في حين أمر الملك فيليب ١٣١٣م بحرق جميع المجذوبين في فرنسا^(٥) ولم تب في أوروبا مستشفيات للجدام قبل القرن الثاني عشر وقد نقلها الصليبيون عن المسلمين.^(٦)

(١) انظر : الطب العربي د. امين اسعد خير الله ص ٦٩، والطب عند العرب، حنيفة الخطيب ص ٢٣١.

(٢) انظر : الطب عند العرب تاريخ ومساهمات، د. محمود الحاج قاسم ص ٣٢٠

(٣) انظر دورة العلاج والرعاية في الاسلام، سعيد الديوة جي ص ٢٤ وما بعدها

(٤) انظر : مقال «من تاريخ الطب الاسلامي» د. غازي الحاجم (مجلة الامة ع ٣٤ / ٣ / تموز ١٩٨٣) ص ٨٠ والطب عند العرب حنيفة الخطيب ص ٢٣٠ وما بعدها.

(٥) انظر : الطب العربي د. امين اسعد خير الله ص ٦٩

(٦) انظر : الطب عند العرب تاريخ ومساهمات، د. محمود الحاج قاسم ص ٣٢٠

وكانت هذه الدور بسيطة في أول أمرها فكان يجبر بها على ذوي العاهات ويعنى بأمر طعامهم ونظافتهم وكسوتهم وتخفيف مصابهم وعلى مر العصور صار بها أطباء مختصون لمعالجة الزمنى. وقومه يتعهدون بالإشراف عليهم وخدم يقومون بتدبير أمرهم.^(١)

ج - المستشفيات المتنقلة

١ - بیمارستان الجيش

وهي المستشفيات التي ترافق الجيش في السلم والحرب^(٢) فقد كان للجيش أطباء.

وصيادلة مختصون عدا أطباء الخليفة والقواد والامراء للعناية بالجرحى والمرضى والجنود، وكانت هذه المستشفيات متحركة تنقل على ظهور الجمال والبغال، وكانوا يعهدون بالجرحى الى النساء لتمريرهم.^(٣)

وكان مستشفى شمس الملك بن نظام الملك من أكبر هذه المستشفيات وذكروا عنه ومن حملة مبتدعاته في الخير أنه جعل للمعسكر السلطاني بیمارستان يحمل أدواته وأدويته والأطباء والغلمان والمرضى ماثا بخي.^(٤)

٢ - بیمارستان السبيل

وهي بیمارستانات التي كانت ترافق القوافل في حلها وترحالها، ومنها ماكانت ترافق المواكب الذاهبة إلى الحج فتجهز بمواد الإسعاف والعقاقير والمعاجين وكل ما يحتاجه المرضى، وتحمل صناديق خاصة بها وتكون برفقة طبيب وممرضين

(١) انظر: دور العلاج والرعاية في الاسلام، سعيد الديوة جي ص ٢٦

(٢) انظر: الطب عند العرب والمسلمين وتاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم ص ٣٢٠

(٣) انظر: الطب العربي د. أمين اسعد خير الله ص ٧١ أو الطب عند العربي حنيفة الخطيب ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٤) انظر: دور العلاج والرعاية في الاسلام سعيد الديوة جي ص ٣١

يشرفون على صحة من في القافلة ويسعفون من يحتاج إلى معالجة. وأول من قام بهذا العمل من البيمارستانات هو معاوية ابن أبي سفيان في أيام خلافته.

٣ - البيمارستان المحمول وهي «المستشفيات النقلة» و«المستشفيات السيارة» كانت هذه المستشفيات تنقل من بلد إلى آخر من البلدان النائية والخالية من المستشفيات الثابتة لمعالجة المرضى في الأوقات الاعتيادية أو في حالة انتشار الأوبئة، ومن الأرجح أن المسلمين هم أول من أنشأ هذا النوع من المستشفيات، والفضل في هذا يعود إلى علي بن عيسى الجراح^(٢) ويكون هذا البيمارستان مجهزا بكل ما يلزم المرضى من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وأطبباء وصيدلة وغلمان يعملون بين أيديهم، ومعتمدون يشرفون على المرضى ويعنون بمداواتهم. فكانوا يقيمون في كل بقعة ما تقتضيه المصلحة يتفقدون المرضى والبائسة يجبرون الكسور يعالجون ويكافحون الأمراض المتوطنة والمنتشرة بين السكان. وبعد أن يقضوا مدة مناسبة ينقلون البيمارستان إلى صقع آخر^(٣).

٤ - بيمارستان الاسعاف:

وهي «محطات الاسعاف» التي كانت تقام بالقرب من الجوامع حيث تزدحم الجماهير للصلاة وكذلك في المهرجانات والمجتمعات العامة في الاعياد والمواسم. ويكون به طبيب ومعه مواد إسعاف وبعض الذين يساعدون في اسعاف من يصاب وأول من أنشأ هذه المحطات أحمد بن طولون (٨٨٣م).^(٤)

(١) انظر : دور العلاج والرعاية في الاسلام، سعيد الديوة جي ٣٢ وما بعدها، الطب عند العرب حنيفة الخطيب ٢٣٤، والطب عند المسلمين تاريخ ومساهمات، د. محمود الحاج قاسم ص ٣٢١.

(٢) انظر : الطب عند العرب تاريخ المساهمات، د. محمود الحاج قاسم ص ٣٢٠ والطب العربي د. أمين أسعد خير الله ص ٧٠

(٣) انظر : دور العلاج والرعاية في الاسلام، سعيد الديوة جي ص ٣٣ وما بعدها

(٤) انظر : الطب الاسلامي د. أحمد طه ٢٣٠ والطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. محمود

ثانياً: كليات الطب:

يمكن تقسيم تطور التعليم الطبي في الدولة الإسلامية الى خمسة أدوار.

١- التعليم في المساجد

فقد أصبحت المساجد بمرور الأيام جامعات إسلامية وأصبح يدرس فيها مختلف العلوم ومنها الطب، وعمن درسوا الطب في الجامع الطولوني عمر بن المنصور البهادري (ت ٨٢٤ هـ).

٢- بيوت الحكمة (خزائن الكتب)

وكان اولها «بيت الحكمة» الذي أسسه أبو جعفر المنصور ببغداد، التي ارتفعت في زمن المأمون حتى أصبحت أكاديمية للبحث والإنتاج وكان للطب حظ كبير من ذلك فترجمت كتب الطب اليونانية والهندية والفارسية الى اللغة العربية.

٣- دور العلم

وأقدمها دار علم جعفر بن محمد بن حمدان الموصللي (ت ٤٢٣ هـ) التي عنت بالمحاضرات والكتب العلمية والأدبية ولم تخل من كتب الحكمة.

٤- المدارس الطبية النظرية

وأقدمها مدرسة أبي بكر بن موزك الأصبهاني (ت ٤٠٦ هـ)، وكان يجتمع الاستاذ بطلابه في هذه المدارس التي انتشرت فيما بعد وتطورت من مدارس اهلية الى مدارس حكومية على يد الوزير نظام الملك (٤٠٨ - ٤٨٦ هـ) الذي انشأ في مدينة في العراق وخراسان مدرسة، وكان بعضها خاصا لمجلس ابن سينا بالليل في دارة وبعضها عاما كالمدرسة الداخوارية التي أسسها الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم المعروف بالداخور وكانت هذه المدارس العامة نهاية المطاف لتطوير دراسة

الحاج قاسم ص ٣٢١. ودور العلاج والرعاية في الاسلام، سعيد الديوة جي ص ٣٥.

٥- المدارس الطبية العملية (البيمارستانات التعليمية)

فقد أدرك المسلمون ان الطب من العلوم التجريبية التي لا يكتفي فيه بالدراسة النظرية بل لابد من مقارنتها بالامراض، وكانت المستشفيات هي المكان الطبيعي لهذا المزج بين الحالات المرضية و العلاجات المتنوعة فيها والمعلومات النظرية.

ومن اشهر هذه المدارس «البيمارستان المقتدري» في بغداد الذي انشأ ٣٠٦ هـ^(١)

ان ما انتهت اليه دراسة الطب جعلت من المستشفيات الاسلامية كليات للطب، خصصت لكل مستشفى قاعات للدراسة وكان الطلاب يحضرون الاستشارات الطبية ويشاهدون كيفية فحص المرضى وطرق مداواتهم بواسطة الاطباء.. كما يمرون مع الأطباء على المرضى يوميا ويستمعون على أساتذتهم في المكتبة بعد جولات الصباح. كما عرفوا التعليم الطبي المستمر بانتقال الحالات المرضية من الطبيب إلى من هو أعلى منه، كما أن الاجتماعات العلمية تعقد في المستشفى فيجلس كبير الاطباء مع معاونة في صدر القاعة المخصصة لذلك ويأتي الاطباء وطلبة الطب فيقعدون بين يديه وتحضر الكتب الطبية ويمكثون ساعات في مباحث طبية.

وكان ينص في وقفية المستشفيات على تخصيص جزء من ريعها للمشايخ الذين يدرسون للتلاميذ الطب في المستشفيات^(٢) وكان الأطباء الى جانب التدريس ينشرون كتباً تحوي نتائج خبراتهم الطويلة ويضعونها بيد أيدي الاطباء والطلاب كما اهتموا بتركيز دعائم أصول التعليم^(٣) ويكاد المؤرخون يجمعون على ان كليات الطب عند العرب من أروع مظاهر الحضارة الاسلامية وكانت طرق التدريس تشمل نواح نظرية

(١) انظر : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات ٣٢٣ وما بعدها.

(٢) انظر : الطب الاسلامي د. احمد طه ص ٧٥

(٣) انظر : الطب عند العرب حنيفة الخطيب ص ٢٧١

وأخرى عملية كما كان هناك نظام للإمتحانات والشهادات والإجازات استحدثت بعد موت أحد العامة على يد بعض المتطبيين بأمر الخليفة المقتدر ٣١٩ هـ لأبي إبراهيم بن محمد بن أبي بطيحة المحتسب بمنع سائر المتطبيين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة ومنذ ذلك الحين ساروا في جميع البلاد العربية على نظام الإمتحانات.^(١)

(١) انظر : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات د. محمود الحاج قاسم ص ٣٣٢ وما بعدها.